● رسالة الخرطوم من سكينة السادات

الرئيس نميرى فى حوار تاريخى مع "المصور"

السادات فى القدس

هو القائد المنتصر فى أكتوبر

بقلم مصطفى نبيل

فى طريقى الى الخرطوم ، كنت افكر فى توقيت هذه الزيارة ، كيف تقررت ، والرئيس نميرى يحضر الاجتماع التاريخى لمجلس شعب وادى النيل ، ثم كيف تحققت بعد ان اكد الرئيس نميرى فى زيارته الاخيرة لمصر وحدة المواقف لشعب وادى النيل .

وليس صدفة ان يعلن السادات وهو فى طريقه الى القدس ، انه يتحرك ومعه شعبا مصر والسودان وهما ثلث الامة العربية ، ثم يعود الى القاهرة ليلتقى مباشرة بنميرى ليؤكدا معا ، ان ٦٠ مليونا يقفون خلف مبادرة السلام القائم على العدل .

بعد مقدمات وبغير طقوس ، جلست الى الرئيس نميرى فى مكتبه بقاعة الصداقة بالخرطوم وبدأت اعبر عن مشاعرى كمصرية ، عايشت ساعات زيارته الاخيرة للقاهرة بالامتنان والتقدير والمحبة ، الا انه قاطعنى بقوله :

ـ ليس غريبا أن كون فى القاهرة فى ساعات الحسم التاريخى ، الغريب الا اكون هناك ، ذلك اننى كأى سودانى ، فى مصر أشعر ان ارتباط بين الشعبين ارتباط بمصير واحد ، وان اتجاه لهدف واحد ، هو سيادة وتقدم وادى النيل .

وكما قال أخى الرئيس أنور ، كنت فى القاهرة يوم تآمرت مراكز القوى على الشرعية فى مصر فى ١٥ مايو ١٩٧١ وقبلها يوم رحيل الرئيس جمال عبد الناصر ، وقبلها كنت ومعى الشعب السودانى بقواته المسلحة ، اصرارا بان تكون مصر فى خط المواجهة . بل انه وقبل تفجير الثورة فى السودان ، كنت فى مصر أيام حرب السويس المجيدة سنة ١٩٥٦ واذكر أننى كنت اقدم فى القوات المسلحة كضابط بمدينة توشكى بجنوب السودان ، حيث اندلعت حرب يونيو ١٩٦٧ ، فاتصلت على الفور بقيادتى طالبا الاذن بالالتحاق بالقوات المصرية فى جبهة سيناء وحينما لم تستجب القيادة الاستجابة لطلبى باعتبارى مصريا عاملا ، قدمت استقالتى ، فرفضوا ، ولها ، وأثناء ذلك كانت الاحداث تجرى بسرعة ففى السودان ، كان الضغط الشعبى جارفا مما اضطر الحكومة القائمة وقتها ، للمواقفة على ارسال قوة رمزية ، اختاروا لقيادتها العقيد محمد عبد القادر محافظ مديرية جنوب دارفور حاليا ، وكان من الضباط الوطنيين المغضوب عليهم فى ذلك الوقت ، وكان يعرف وهم يعرفون سر تكليفه بهذه المهمة الا أنه رحب بها باعتبارها شرفا ، ولقد أسهم مع قواته فى معركة رأس العش وهى أول بوادر النصر بعد هزيمة يونيو الاليمة .

المهم اننى وغيرى من ابناء السودان ندرك حجم الصلة التى تربط السودان بمصر ، وهى صلة لاتعبر عنها العواطف وانما تعبر عنها المواقف ، فمصر دائما سند للسودان ، والسودان ابدا شريك لمصر فى معاركها ، كل معاركها ، سواء كانت معارك الحرب او معارك السلام .

وسألت الرئيس نميرى ، عن تحليله لرحلة السادات التاريخية للقدس ، ومبادرته الشجاعة من أجل السلام ثم ماهو تعليقه على الطنين الذى نسمعه فى بعض أجزاء العالم العربى .

قال الرئيس نميرى :

فلابدا من حيث ينبغى أن تكون البداية فاتحدث عن ماتسميه أنت بالطنين ، فى بعض أجزاء العالم العربى ، بينما أسميه أنا ، **مؤامرة للقضاء على النضال العربى والمستقبل العربى .**

وهو مؤامرة بكل المقاييس ، هو مؤامرة لخداع النفس ، فاذا كان الهدف هو تشكيك الشعب المصرى فى قيادته ، فهذا وهم باطل فالشعب المصرى الذى قاده السادات الى النصر فى أكتوبر ، يؤمن بقدرة السادات وشجاعة السادات وحكمة السادات ، وهو يتولى قيادة معركة السلام القائم على العدل .

وهو مؤامرة لتدمير الذات ، فاذا كان الهدف من الحملات الكلامية ، هو عزل مصر عن الساحة العربية ، أو دفع مصر الى الانعزال عنها ، فلست بحاجة الى أن أقول ، بأن مصر الكثافة البشرية والامكانية العسكرية ، والوجود الحضارى ، لهى مركز الثقل للنضال العربى كله .

فلا حرب بغير مصر ، ولا سلام بدون مصر .

وعلى الذين يراهنون على عزل مصر ، أو دفعها للانعزال عن الساحة العربية ، أن يدركوا أنهم بذلك لايتآمرون على مصر ، وانما يتآمرون على النضال العربى كله ، بل وعلى المستقبل العربى كذلك .

ان هناك حدودا للخلاف والاختلاف داخل الامة العربية ينبغى أن يدرك الجميع مخاطر تجاوزها والا لكانوا بالوعى واللاوعى ، فى صفوف أعداء هذه الامة ، بل فى مواقع المتآمرين على تواصل وجودها ، خاصة أن مصر ليست بما تملك هى ثقل النضال العربى فحسب ، بل أن مصر بما أسهمت هى واقع هذا النضال وحقيقته وجوهره ومحتواه ، فشهداء مصر فى ساحات النضال العربى منذ الاربعينات وحتى الان ، **يتجاوز مجموعهم سكان بعض الكيانات العربية ، التى تزايد على مصر اليوم من فوق المنابر** ، وعبر الصحف والاذاعات ، كما أن مصر بما قدمت وتقدم للنضال العربى وحتى الان ، انما هى مصر الصابرة على جراحات شعبها كنتيجة لهذا النضال .

فشعب مصر هو الفخور بشهدائه فى معارك المصير العربى .

وشعب مصر ، هو الصابر استنزافا لموارده استعدادا واعدادا للمزيد من المشاركة فى كل معارك الامة العربية .

وجيش مصر فى خنادق المواجهة ، هو جيش الفلاح الذى هجر ارضه ، والعامل الذى تخلى عن مصنعه والمهندس والطبيب الذى تخلى عن طموح فكره وارتضى أن يكون بدمه فداء لامته العربية ، بدلا من أن يكون رخاء لوطنه المصرى

ولهذا كله ، فان المزايدة على مصر التى قدمت وضحت ، ليس مجرد تجاهل لحجم مصر ودورها فحسب وانما هو تآمر على دورها الفعال والمؤثر فى النضال العربى والمستقبل العربى كذلك .

اننى أفهم ، وأخى السادات يقدر أيضا ، أن يكون هناك اختلافات واجتهادات حول الوسائل والاساليب ، الا أن هناك فارقا بين الخلاف والتشكيك ، بين الاجتهاد والاتهام .

والا لكنا ننال من أنفسنا ، بأكثر مما ينال منا عدونا .

وينظر الرئيس نميرى متأملا :

ـ وبالرغم من كل ماهو مطروح فى الساحة العربية اليوم من خلافات واختلافات واتهامات لاتستند الى أساس فانه تبقى هناك حقيقة يجب أن يسعى اليها الجهد العربى المخلص ، المجرد من كل شبهة أو غرض ، وأعنى به التضامن العربى ، والذى هو مطلوب فى معركة السلام تماما كما كان حيويا فى معركة الحرب .

فليس هناك شك ، بأن **حرب أكتوبر المجيدة** والتى تحملت مسئولياتها مصر وسوريا بقيادة الرئيس السادات والرئيس الاسد ، قد أفرزت واقعا عالميا جديدا ، أعطى للنضال العربى ثقلا سياسيا واقتصاديا لايمكن الاستهانة به كما أضافوا الى الحق العربى قطاعات من الرأى العام العالمى ، كانت منحازة ضده أو باردة تجاهه وكلها مقومات من الظلم أن تبدد فى اطار خلافات عربية شكلية تتمركز حول الوسائل ، ولا تتعلق مطلقا بالاهداف ، وان السودان المدرك لاهمية التضامن داخل العالم العربى ، والتضامن العربى الافريقى لسوف يسعى من أجل تأكيد هذا التضامن باعتباره من مقومات النصر فى معارك الحرب والسلام .

ذلك أننا فى السودان ندرك ، بحكم انتمائنا العربى والافريقى ، بأن انقسام الصف العربى سوف يفرز **بالضرورة انقسامات فى مواقف القوى المساندة لنا فى القارة الافريقية وفى العالم**

وذلك تبديد لطاقات مازلنا فى أمس الحاجة اليها مادمنا مصرين على تحقيق أهدافنا القومية فى تحقيق السلام القائم على العدل

ويتابع الرئيس نميرى قلمى وهو يجرى على الورق ويقول :

ـ لعلى بدأت من نهاية سؤالك ، وعلى الان أن أعود الى بدايته ، الى التحليل الذى خرجت به من الزيارة التاريخية التى قام بها الرئيس السادات للقدس فاقول :

ان النظرة اليها باعتبارها حدثا منفصلا عن شخص الرئيس السادات بالذات ، قد لايعطيها دلالتها الحقيقية .

الرئيس السادات في حوار تاريخي مع المصور

السادات في القدس هو القائد المنتصر في أكتوبر

● لا يمكن عزل مصر لأنها الثقل في النضال العربي

●● إنهم لا يتآمرون على مصر وإنما يتآمرون على العرب

●●● السادات تحدث باسم كل العرب ، لا مصر ، في القدس

فالسادات في القدس ، هو القائد الذي انتصر في أكتوبر ، لا على حصون خط بارليف التي كانت منيعة فحسب ، وانما على كل الاهرام التي قام عليها هذا الحصن ولسنوات طويلة ، أن السادات في القدس ، هو القائد الذي حطم اسطورة الجيش الذي لا يقهر ، ونظرية الامن القائم على العدوان والتوسع ، واسطورة التفوق الحضاري والاستخدام الكفء لتكنولوجيا الحرب الحديثة .

فالسادات في القدس لم يكن في موقع المساومة من مواقع الضعف ، وانما كان من موقع القوة يطرح فرص السلام والعدل المتاحة لكل الاطراف وفي هذا الاطار فان الزيارة بدأت واتجهت في اطار التزام ثابت وفهم عميق لمسار المتغيرات في الساحة العربية والدولية وبهدف توظيفها في خدمة الحق العربي .

وذلك كله يبرز في دلالات الزيارة وأهدافها والذي يمكن ان ألخصها على النحو التالي : ـ

أولا : أن الزيارة تمت من حيث الهدف في اطار استراتيجية عربية متفق عليها ، عبر عنها الرئيس السادات في خطاباته وتصريحاته ولقاءاته بمختلف الكتل في الكنيست .

حيث أعلن غير مرة بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، واقامة الدولة الفلسطينية واصر على ان القدس مدينة عربية .

ثانيا : لقد تمت الزيارة من حيث الشكل ، في اطار الاستراتيجية العربية أيضا ، حيث ارتضت الاطراف العربية المواجهة لاسرائيل مبدأ الحوار من أجل تحقيق السلام العادل بهذا فان الحوار الذي جرى في القدس مع أطراف اسرائيلية لا يمكن أن يكون مختلفا عن حوار مع نفس الاطراف في جنيف .

ثالثا : أن الحوار المباشر الذي تم في اطار الزيارة قد أسقط فيما أسقط تعقد الاجراءات وتجاوز مراحلها والتي استهلكت وقتا وكان من الممكن أن تستهلك المزيد منه ، وذلك على حساب جوهر قضية السلام العادل الذي تنشده الاطراف العربية المعنية بغير استثناء .

رابعا : ان الحوار المباشر الذي تم في اطار زيارة السادات للقدس ، قد استبعد وصاية ارتضيناها لسنوات طويلة من جانب القوى العظمى ، وهي وصاية ولو سميناها وساطة ، ذلك أنها تضع في أولويات أهداف تحركها مصالحها الاستراتيجية والتكتيكية أولا وأخيرا ، بل وعلى حساب المصالح العربية ، باعتبارها الطرف المطالب ، وليس الطرف المطلوب .

خامسا : ان السادات في القدس ، هو السادات في سيناء ، الذي عبر واقتحم وانتصر ، من هنا فان دعوته للسلام المقترن بالعدل ، قد خلقت واقعا نفسيا وسياسيا جديدا داخل اسرائيل ، سوف يمثل في وقت منظور عنصر ضغط لصالح الحق العربي ، بعد ان كان موقفا قبل الزيارة ضده .

سادسا : ان السادات بما طرحه اثناء زيارته للقدس قد تجاوز أطرافا عربية تعارض الزيارة اليوم علنا ، بينما هي ارتضت قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ، والذي تحدث عن حقوق لاجئين فلسطينيين ، بينما طالب السادات واصر على قيام الدولة الفلسطينية كما أصر وشدد على ضرورة الانسحاب من كل الاراضي العربية المحتلة بينما القرار يتحدث عن انسحاب من أراض محتلة

سابعا : ان الزيارة بمدلولها الضاغط على الرأي العالمي ، باعتباره دليلا جديدا على رغبة العرب في تحقيق السلام العادل ، انما مثلت ضغط مربكا على مراكز تأثير في بعض العواصم العالمية ، أقامت تحركها المعادي للعرب على أساس عدم جديتهم في تحقيق السلام .

ثامنا : لقد كانت الزيارة بما طرح خلالها وراكبها من تحرك مصري قادر وشجاع بمثابة تقنين للاجماع العربي ، فيما يتعلق بأطراف القضية وعناصرها المباشرة فلقد دعت مصر لمؤتمر تحضيري لجنيف ، تحضره دول المواجهة بالاضافة الى منظمة التحرير الفلسطينية .

تاسعا : ان السادات الذي تحرك باسم مصر متوجها الى اسرائيل انما تحدث باسم كل العرب داخل القدس ملتزما بما أجمعوا عليه ، رافضا أي حل لا يشمل جوهر القضية .

عاشرا : ان السادات في القدس ، وان تحرك باسم مصر ، فانه لم يتجاوز مسئولياتها القومية فرفض الحل الجزئي ، كما أدان الحل المنفرد .

حادي عشر : ان الذين راهنوا على تنازلات من جانب السادات قبل بدء الزيارة ، هم وحدهم الذين صدموا بصلابة موقف السادات أثناء الزيارة وبعدها . وهم المطالبون وحدهم اليوم بأن يصححوا مساراتهم ، حفاظا على التضامن العربي بل والحق العربي ، والذي لا يمكن أن تحقق حربا أو سلاما بغير مصر وتلك مسئوليتهم أمام أنفسهم وأمام التاريخ ، والذي وعى مصر دورها في ماضي الامة العربية ، وحاضرها ومستقبلها .

ثاني عشر : وأخيرا لقد ثبت للعالم كله اجماع شعب مصر على مساندة تحرك السادات نحو السلام كما ساندته وشاركه في تحقيق نصر العرب في حرب أكتوبر .

وسكت الرئيس نميري ، ولكنني لم أسكت

سألت عن مسار التكامل بين مصر والسودان عن ايقاع التنمية في القطر الشقيق ، عن علاقات السودان الدولية ونظرته للمخاطر التي يتعرض لها القرن الافريقي .

واجاب الرئيس نميري وافاض ، ولسوف أواصل الحديث في العدد القادم .